

## المنعطف النقدي عند فريدريك نيتشه ( Friedrich Wilhelm Nietzsche 1844م- 1900

(

### أ- حياته ومؤلفاته

نيتشه فيلسوف وفيلولوجي وشاعر ومؤلف موسيقي ألماني، ولد في 10 أكتوبر من عام 1844، في بلدة روكن Rocken في بروسيا قرب ليبنتسبح، وصادف مولده، يوم عيد الملك البروسي الحاكم فريدريك غليوم الرابع، وفي عام 1858 التحق نيتشه بمدرسة بفورتا المرموقة، وبعد تخرجه عام 1864 غادرها إلى جامعة بون التي درس فيها فصلين وخلال تلك الفترة بدأ إتجاهه يتبلور في دراسة اللغويات والآداب الكلاسيكية، ثم انتقل إلى جامعة ليبزيغ حيث بعمر الأربعة والعشرين تقلد منصب كرسي اللغة في جامعة بسيل في 1869 حتى استقال منها عام 1879 بسبب مرضه.

اهتم إلى جانب فقه اللغة والأدب الكلاسيكي بالموسيقى والفلسفة والشعر والتأليف إلى أن وافته المنية في 25 أوت 1900 بسبب مرض عقلي بويمار Weimar. من أهم مؤلفاته: " هكذا تكلم زرادشت"، " انسان مفرط في إنسانيته"، " ما وراء الخير والشر"، " مولد التراجيديا"، " جينيالوجيا الأخلاق"، " العلم المرح"، " أفول الأصنام"، " عدو المسيح"، " إرادة القوة".

### ب- مرجعيته الفكرية والفلسفية:

ساهمت كثير من العوامل في الثقافة الغربية بوجه عام في تبلور فلسفة نيتشه واكتمالها شيئا فشيئا، وهذا شأن فلسفة الحياة التي ترتبط بظروف نموها ومشاكلها الخاصة، وتأخذ عند نيتشه مسارا عبر عليه في كتابه " هكذا تكلم زرادشت" كما يلي: " أريد أن أقول لكم ثلاث تحولات للعقل: كيف للعقل أن يصبح جملا. كيف للجمل أن يصبح أسدا. وكيف أخيرا للأسد أن يصبح طفلا " فهذه المقولة تعبر عن ثلاثة مراحل متداخلة في فلسفة نيتشه، نجدها واضحة عند فؤاد زكرياء صاحب كتاب " نيتشه"، وعلينا أن نتبين نحن من خلالها العناصر التي شكلت فلسفته في كل مرحلة:

1- المرحلة الفنية الرومانتيكية التي تمتد من 1869 إلى 1876، لقد أتى نيتشه إلى هذه المرحلة متشبعا بالفيلولوجيا أو علم فقه اللغة، و الآداب الكلاسيكية والشعر والموسيقى، لكنه خضع في هذه الفترة لتفكير شوبنهاور وفاغنر، حيث تظهر كتابات نيتشه في هذه الفترة إعجابه بفكرهما المأساوي خاصة كتابه " مولد التراجيديا".

لقد كان شوبنهاور فيلسوف تشاؤمي لم ير في الحياة إلا الشر والألم، لكن " الألم والشقاء هما ذاتهما اللذان يحققان الغاية الصحيحة للحياة وهي انصراف الإرادة عنها"، بما أن ذلك الشقاء ينشأ عن عدم قدرة الإرادة على تحقيق رغباتها ودوافعها في الحياة، وهذا يظهر استسلام شوبنهاور لنزعته التشاؤمية وتحمله لمآسي الحياة. وقد رأى نيتشه في شوبنهاور الفيلسوف الذي كان يعيش الراحة في عالم مليء بالقلق، فكتب لصديقه كارل فون " ثلاثة أشياء تمنحني الراحة، لحظات نادرة من الراحة من عملي: شوبنهاور وموسيقى شومان وجولات العزلة. "

أما فاغنر فقد كان مؤلفا موسيقيا ومسرحيا، وكان متأثرا بدوره بشوبنهاور، حيث " وجد نيتشه في فاغنر فناً أحيا آراء شوبنهاور النظرية الحقيقية عملياً ووقفت لديه الموسيقى مع الفكر جنبا إلى جنب واجتمع الشعر والنغم في دراماته الموسيقية " لقد كان يشعر وهو يستمع إلى موسيقى فاغنر بالانطلاق والتوثب والمتعة، ومثلما وجد في كتاب شوبنهاور " العالم كإرادة وتمثل " عناصر لبناء فلسفته، فقد رحلت به موسيقى فاغنر إلى تقويم الفلسفة اليونانية والفلسفة الحديثة على أساس مفهومي " الأبولوجية والديونوزوسية ": فالمفهوم الأول يعني الفكر الواضح الثابت المحدد والمتعالي المثالي، أما الثاني فيعبر عن الفكر القائم على الدوافع والإرادة وتحقيق الرغبات، وقد اتخذ نيتشه من المفهوم الثاني عنوانا لفلسفته مصطبغا بالرومانتيكية، التي تؤكد أن الإنسان يحيا الحياة بكل قواه العقلية والانفعالية والغريزية والجسمية وليس بعقله فقط.

2- المرحلة الوضعية النقدية: وتمتد من 1876 إلى 1882، وهي المرحلة التي وجه فيها أعنف نقد للرومانتيكية والتجربة الإنسانية في صورها الدينية والفلسفية الميتافيزيقية والمثالية والشمولية، وتأثر في المقابل بالمنهج العلمي: فقد انتهى نيتشه إلى تجاوز تأثير شوبنهاور وفاغنر، لأنه لم يعد يتحمل في فلسفة شوبنهاور ذلك الاستسلام المخدر لمآسي الحياة، كما لم يعد يتحمل في فن وموسيقى فاغنر تلك المتعة الزائفة المثيرة للشفقة، ذلك أن " تشاؤم " شوبنهاور " قد خدره، وأشاع في أعصابه الارتخاء. وموسيقى " فاغنر " أثرت فيه بعكس ما رغب، فكانت للمتعة والنشوة فحسب، نشوة الضعف والانحلال

لا نشوة الفيضان والنبض والقوة " من هنا كان عليه أن يتجاوز هذا المرض ويقبل على الحياة إقبال القوي المهيمن . " يجب أن أقف ضد كل شيء مريض داخل نفسي وفكري، بما في ذلك فاغرن وشوبنهاور وكل ما تنتجه الثقافة الحديثة " .

إن السعي إلى نقد الثقافة الغربية برمتها قد عززه استخدام نيتشه للمنهج الجينيولوجي العلمي الذي استمدته من دراسته للنظرية الداروينية التي عرفت في عصره تأثيرا واسعا على الثقافة الغربية، فقد أصبح " مصطلح الجينيولوجيا يعرف عند نيتشه الخطاب الفلسفي عموماً بمتبع أصول موضوع ما أو فكرة، وتقديم عرض تاريخي متسلسل لظهوره ونشأته وتطوره " وهذا جعله يشكك ويقوض الميتافيزيقا الغربية والديانة المسيحية والفلسفات المثالية والنزعات الشمولية التي تدعي أصولا ومبادئ عليا لا يتطرق إليها الشك. واستلهم نيتشه من نظرية داروين عنواناً لأهم كتبه "أصل الأخلاق"، وأخذ منه فكرة البقاء للأفضل، " فإذا كانت الحياة هي تنازع البقاء وبقاء الأصلح عندئذ تكون القوة هي الفضيلة الأساسية، والضعف هو النقيضة الوحيدة " . وهذا ما يؤسس لفلسفة نيتشه برمتها.

يمكن اعتبار الفلسفة اليونانية أيضاً إحدى مصادر فلسفة نيتشه، فقد امتد النقد النيتشوي إلى الفلسفة اليونانية القديمة، واستطاع أن يظهر إعجابه بفلسفة ما قبل سقراط، لا سيما الفلاسفة الطبيعيين الذين ربطوا الإنسان بالحياة الطبيعية وأعطوا قيمة لدوافعه الذاتية والغريزية، كما ثمن فلسفة السوفسطائيين التي تربط الفلسفة بالإنسان الفرد ومصالحه الخاصة، في المقابل فكك فلسفة سقراط وأفلاطون وأرسطو، باعتبارها تخفي أصولاً مثالية مثل المبادئ والمثل والجوهر، و " ضد أفلاطون وأرسطو، يحدد نيتشه إذن الفلسفة كإنسان لا يهتم بالأشياء الإلهية والأبدية والكلية، بل بالأشياء الإنسانية- بمعنى- بما هو قريب، وصغير وضعيف ومشروط ومتلاشي وغائم وضعيف وغير منطقي " .

3- مرحلة الاستقلال الفكري والفلسفي: وهي مرحلة تمتد من 1883 مع كتاب نيتشه " هكذا تكلم زرادشت" إلى أن وافته المنية سنة 1900، من بين مقولاته الدالة على هذه الفترة " يجب أن تكون الإنسان الذي أنت عليه، أفعل ما تستطيع أنت فقط فعله، كن دون هوادة ما أنت عليه، كن السيد والنحات لذاتك نفسها" : أن تكون ما أنت عليه لا تعني أن تخلق نفسك من عدم، أو أن تتصرف بشكل غريب، كن ما أنت عليه، أي كن تلقائياً وحراً في أفكارك وتصرفاتك، فالإنسان الأعلى عند نيتشه هو " الإنسان الأرقى الذي تسود حياته " الغرائز " أي القوى الحيوية التلقائية، لا العقل المجرد.

إن هذه الاستقلالية التي تؤكد الإرادة والحرية الفردية والتلقائية في التصرف والتفكير تنبني أيضاً عند نيتشه على أنطولوجية الجسم وقواه الحيوية، الجسم من حيث هو كيان متفرد وما يلحقه من قوة أو ضعف لاشك أنه يؤثر على شخصية الإنسان، ولطالما كان جسم نيتشه معتلاً ومريضاً قد فرض عليه العزلة أحياناً، والحرمان مما يحب أحياناً أخرى، ألا يمكن أن تكون فلسفته في إرادة القوة وجراته على تقويض مركزيات الثقافة الغربية مجرد تعبير عن عقدة النقص تلك ؟ ألا يمكن أن تكون مجرد تعويض عن نقصه ومرضه بالتعبير الفرويدي ؟ أليست تعبيراً على البحث عن القوة والإرادة المفقودتين بسبب المرض ؟ " لقد أخذني المرض ببطء: لقد أنقذني من أي قطيعة، أو أي خطوة عنيفة وخطيرة ... أعطاني الحق في تغيير عاداتي جذرياً. " لقد انتهى نيتشه مجنوناً يصارع مرضه، ويمضي رسائله باسم أشخاص آخرين.

ج- فلسفته:

### 1- المشكلات الأساسية:

أ- فلسفة إرادة القوة والعدمية: يستخدم نيتشه مفهوم إرادة القوة *volonté de puissance* كتعبير عن الإبداع والامتلاء بالحياة، ورغم مأساوية هذا العالم، يجب أن نعيشه من حيث هو فرح وإرادة قوة، لذا فهذا المفهوم الأخير ليس فقط مفهوماً أخلاقياً، بل مفهوم فلسفي شامل يعني النضال من أجل الحياة و الامتلاء الروحي والقدرة على الوجود، " فالعالم بكل مظاهره ليس إلا تجلياً لإرادة القوة وحيثما ينظر إلى قلب الأشياء يكشف هذه الإرادة وكل تاريخ العالم ليس إلا هذه الإرادة وقد تجلت في أشكالها الكثيرة. " لكن إذا كان هذا المفهوم شامل عند نيتشه فإنه لا يحمل عنده دلالة واحدة، حيث تتعدد مفاهيمه بتعدد المجالات والمراحل الفلسفية للفيلسوف نيتشه.

المفهوم النقيض لإرادة القوة هو العدمية *Nihilisme* التي " لا تعني اللاوجود، بل قيمة العدم أولاً حيث تأخذ الحياة قيمة عدم بمقدار ما يجري نفيها والخط من قيمتها، فتصبح الحياة كلها وهمية"، بمعنى العدمية هي إرادة لنفي الحياة، وتأكيد لغياب المعنى، وهذا هو المعنى السلبي للعدمية.

لقد وجدها نيتشه في كل تلك الفلسفات والنظم والأديان والثقافات الغربية التي ما أن تشخصها وتتبع أصولها حتى تجدها قائمة على أوهام. من هنا كان نقده للدين المسيحي والميتافيزيقا الغربية والفلسفات المثالية.

أما المعنى الإيجابي للعدمية عند نيتشه فهو معنى حيوي ونشط، وهو لا يتناقض مع مفهوم إرادة القوة والحياة، لأنه " يتطلب تحطيم كل القيم والمقولات ومنها الدين والعقل، الحرية و النظام، والإنسان والدخول في عدمية تمسح الأرض" وبالتالي يصبح مفهوم العدمية مفهوما مساعدا لاستئناف حياة جديدة قائمة على إرادة القوة.

## ب- نقد الفلسفة والثقافة الغربية بوجه عام:

إن قراءة نيتشه للفلسفة والثقافة الغربية هي قراءة جدلية تقوم على التشكيك والنقد والتقويض من جهة، كما تعتمد على البناء من جهة أخرى، فهي تعتمد أساسا على مفهومي الأبولونية والديونوسوسية، وهما مفهومان متناقضان في فلسفته: الأبولونية نسبة إلى أبولون Apolon إله الشعر والجمال والاتزان والعقلانية والمنطق و الثبات، لذا فهي تعبير عن الفكر المطلق والمبادئ الثابتة والانسجام في التفكير والتعالى والمنطق. أما الديونوزوسية فهي نسبة إلى الإله ديونوزوس Dionysos إله الخمر والمتعة والعاطفة و الخلاعة، والذي لا يقيم وزنا للعقلانية والمنطق، وبالتالي لا يحترم القواعد والقوانين. فهي إذن نزعة حسية حيوية انفعالية تقوم على الإرادة والتحدي والتجاوز و التقويض والبناء والإبداع. لا ينتصر نيتشه لأبولون بل لديونوزوس، ويطبق نظريته تلك على الفن والدين والفلسفة وكل الثقافة الغربية:

1- **الفن:** الفن الحقيقي لا يتمثل في الأسلوب والشكل وخدمة القواعد الجاهزة، بل هو حركة حيوية متدفقة تدفع الفنان إلى تغيير الواقع نحو الأفضل. إن أساس الفن هو الإبداع والحرية وخدمة الغرائز الحيوية التلقائية والتطلع إلى المستقبل وتحطيم القواعد الثابتة والعادات الراسخة، ولذا الفن " أكثر قيمة من الحقيقة بمعناها الأفلاطوني المسيحي." وإن أهم شيء في الفن هي التراجيديا أو المأساة، فهو التعبير عن الحياة باعتبارها مأساوية تعرض " للصراع الخالد بين " الثابت " الأبولوني والحركة الديونوزوسية وعودها الأبدي " وبالتالي يصبح الجميل مرتبط أكثر بالجسم، بالإحساس والمتعة واللذة والنشوة والتأثير، وتغدو الجمالية هي التفكير في هذا الجميل. والفن ليس الفنون أو الآثار الجميلة، فهذه الأخيرة ليست إلا تجسيدا جزئيا له، لأن الفن يأخذ معنى أشمل عند نيتشه وهو القدرة على إبداع الأشكال الحيوية المتنوعة لوجود الإنسان.

## 2- الفلسفة:

من المهم وصف فلسفة نيتشه وصفا عاما قبل عرض تفصيلاتها الأساسية، فهي **فلسفة نقدية** دون أن تكون استمرارا للكانطية: فالنقد عند نيتشه جذري يبحث عن أصول المفاهيم و الفلسفات والمذاهب ليوضح ما تقوم عليه من أوهام وخرافات قصد تقويضها، وليس فقط بحثا عن حدود العقل والتجربة. وهي **فلسفة حيوية** تربط الفلسفة بمفاهيم الحياة والنمو والتطور، وبالتالي بمفاهيم التاريخ والنسبية والتجدد، ولذلك كثيرا ما يصف الباحثون فلسفة نيتشه بالفلسفة غير المكتملة، حيث " يوجد عند نيتشه كما في أي حركة للفكر الإنساني ميل نحو الوضوح ونحو الوحدة، ولكن هذين مهديين دون هوادة بإكراهات جديدة، وبأوقات التردد، وبالظنون. نظريته الشاملة للعالم تبدو أنها ستنتشظى في لعبة الظلال والتناقضات، إنها كلية حركية وغير مكتملة كما يجب أن يكون فكرا حيا." وهي فلسفة **تأويلية أو هرمينوطيقية**، حيث يدرجها بول ريكور ضمن الهرمينوطيقا الشكية أو الارتيازية، لأنها فلسفة تشكك فيما هو معطى من أفكار ونظم وثقافات وتؤولها تأويلا جديدا يختلف عما هو راسخ أو سائد بين الناس من أفهام وأوهام، ولأنها فلسفة تتطلب التأويل لما يتميز به أسلوبها، حيث " عند نيتشه الأدب والشعر حاضرين، ليس فقط في هكذا تكلم زرادشت، لكن أيضا في القصائد والأقوال المأثورة. سخرية، غموض، محاكاة ساخرة، روح المفارقة، استعارات، رمزية، إبداع كلامي توجد كلها حتى في النصوص الفلسفية الخالصة " وهذا ما جعل البعض يصف فلسفة نيتشه بالصعوبة والتعقيد، بالإضافة إلى رفضه الاندراج ضمن التقليد الفلسفي المعروف قبله.

وأخيرا، يطرح نيتشه فلسفته كفلسفة للمستقبل، رغم أنها تستلهم ديونيسوس، فهو يقول: " إنني أحد المنحدرين عن الفيلسوف ديونوزوس " فهو يميز بين الفلسفة ما قبل سقراط pré-socratique

والفلسفة بعد سقراط post-soratique، الأولى تستجيب للأبولونية مع سقراط وافلاطون وأرسطو. الثانية تستجيب للروح الديونوسوسية مع الفلاسفة الطبيعيين وفيثاغورس، هذه الأخيرة تفهم الحياة فهما تراجيديا، وتكرس الفلسفة من أجل الحياة. الأولى تبحث عما وراء الحياة لذلك فهي تتأسس على العدمية، لأنها إما تؤسس الوجود على الميتافيزيقا، أو المبادئ المتعالية أو العقل وحده، ومن هنا يرفض نيتشه الميتافيزيقا الأفلاطونية والمثالية المتعالية وكل فلسفة عقلانية تختصر الحقيقة في العقل على غرار الديكارتية، فالميتافيزيقا في نظره تحط من قيمة عالمنا المحسوس بجعل الحقيقة خارج الظواهر التي تبدو مجرد ظواهر مصطنعة و ظلال للحقيقة، لذلك يجب تجاوز الميتافيزيقا، فهي ناشئة عن معاناة الإنسان وضعفه.

يناقش نيتشه الكوجيطو الديكارتي بالتساؤل عن معنى الأنا المفكر الذي تتأسس عليه فلسفته، وينتهي إلى أن هذا الأنا المفكر لا يكفي لإثبات الوجود، فليس الإنسان بالعقل فحسب، بل هو قبل كل شيء جسم ومجموع قوى غريزية وحيوية وانفعالية ودوافع لاشعورية بحسب ما يؤكد شوبنهاور. في المقابل الفلسفة ما قبل سقراط فلسفة متناغمة مع الحياة، حيث "الفلسفة اليونانية القديمة ضد الأسطورة ومن أجل العلم وجزئيا ضد العلمنة sécularisation. في العصر التراجيدي: موافقة لفيثاغورس، أمبادوقليس، إنكساغوراس، معادية بطريقة أبولونية هيراقليطس، منفصلة عن كل فن بارمنيدس"، فالفلسفة عند نيتشه ليست مهمة ببناء أنساق، ولا بالحقيقة خارج الحياة، بل هي فلسفة مرتبطة بوجود الفيلسوف وحضارته، ولذلك "الفلسفة ليس لها ما هو عام: فهي أحيانا علما، وأحيانا أخرى فنا" ومهمتها الأساسية هي إيجاد توافق بين الوسائل والغايات لتنمية الحياة، عن طريق تنقية كل الأفكار المرتبكة والخرافية وضد دوغمائية العلوم و" بالقياس إلى كونها علما فهي تطهيرية وتوضيحية، وبالقياس إلى كونها ضد ما هو علمي فهي تحجب الواقع على غرار ما هو ديني."

### 3- الدين:

إذا كانت العدمية هي عدم للحياة فإن جوهرها يجده نيتشه في الدين، ف"مختلف الأديان التي عرفتها البشرية بما في ذلك البوذية، الكونفوشيوسية، اليهودية، والمسيحية، أسست إجمالا للعدمية النافية وساهمت بنصيب وافر في الحفاظ على نوع الإنسان في درجة متدنية، لقد حافظت على الكثير من الذين كانوا عليهم أن ينقضوا"، لكن نيتشه يركز أكثر على الدين المسيحي والفكر اللاهوتي المرتبط به، وهو عندما يعلن " موت الإله " فإنه يقصد موت الإله المسيحي، وقد يتبادر إلى قارئ نيتشه من خلال هذا النقد العنيف للدين السؤال التالي: هل يرفض نيتشه الدين أم الفكر اللاهوتي المرتبط به ؟

ذلك أن نيتشه يعتبر الدين غطاء لمصالح فردية ونوع من التعمية على الواقع، ومثبط لإرادة الإنسان، ويعلمه الصبر والانتظار والضعف، وبالتالي ما هو الهي، وما هو فوق المحسوس سيغادرنا، بل نحن الذين قتلناه، مما ينبئ بغروب شمس المسيحية.

والبدل عن هذه العدمية للدين هو التأسيس للإنسان المطالب بأن يعيش كما هو، وفقا لإرادته في الحياة، ووفقا لطبيعته الفردية، ويتطلع إلى " الإنسان الأعلى " يقول نيتشه على لسان زرادشت: " أيها الرجال المتفوقون، ابتعدوا عن الساحة العامة، (...) الآن فقط جبل المستقبل الإنساني سيولد، الإله مات. الآن نريد أن يحيا الإنسان الأعلى."

### ج- قلب القيم والأخلاق:

إن تحطيم الميتافيزيقا والمثالية المتعالية وإعلان موت الإله تستدعي تحطيم القيم المرتبطة بها، فمهمة الفيلسوف هي " نقد كل القيم المؤسسة، بمعنى كل القيم المتعالية على الحياة والمبدأ الذي تقوم عليه، وإبداع قيم جديدة، قيم الحياة التي تدعي مبدأ آخر." وهذا النقد على مستوى القيم الأخلاقية سيجعل الفيلسوف في مرحلة اللاأخلاقية التي لا تعني أنه غير متخلق، بل تعني فقط رفضه للقيم المتعالية عن الحياة، باعتبارها عدمية يجب رفض مبدأها في الخير والشر، و طريقة تقويمها الأخلاقي الذي يربط الفعل الأخلاقي بقيم أخلاقية مطلقة كالواجب الكانطي أو المثل الأفلاطونية، وهذا النقد أتاح لنيتشه التمييز بين أخلاق العبيد وأخلاق السادة: فأخلاق العبيد هي أخلاق الضعفاء وأخلاق القطيع الذي يتبع الأوهام، إن قيم العبيد هي قيم الشفقة والرحمة والإحسان والخضوع والخوف والصبر...وهي أخلاق الكثرة، مما يجعل " الأقوياء والسعداء يصبحون ضعفاء عندما يجدون أنفسهم في مواجهة غرائز القطيع المنظمة وجبن الضعفاء وكثرة العدد." و بهذا يغيب الفعل والإبداع

والإرادة ويسود الانحطاط، لكن هذه الأخلاق أصبحت قديمة و غير حيوية عند نيتشه، ويجب تجاوزها بالبحث والتأسيس لأخلاق جديدة قوامها إرادة القوة والتطلع إلى الإنسان الأعلى.

لقد وجد نيتشه الأخلاق الجديدة عند السادة الأرستقراطيين أو النبلاء ذوي الإرادات الفاعلة والغايات العظمى في التاريخ، وهم قلة من الناس. وإذا كانت أخلاق العبيد تأتيهم من مصادر خارجة عنهم، فإن أخلاق السادة تأتي من الإنسان نفسه، فالإنسان هو الذي يصنع أخلاقه انطلاقاً من واقعه الحي، ومن الأرض الذي يعيش فيها، وهي أخلاق تستلهم من روح ديونيزوس الذي يتميز بروح القوة والتحطيم والرقص والفن والعفوية والطفولة واللعب والإبداع ومراعاة الجسد، وبالتالي فهي أخلاق الأقوياء المتطلعون إلى الأفضل من خلال قيم الشجاعة والتضحية والتحدي والهيمنة. " أحب أولئك الذين لم يحصروا البحث فيما وراء النجوم عن حقيقة للتراجع (...) لكن الذين بالعكس يضحون بأنفسهم على الأرض. " إذن يتعلق الأمر بقلب للقيم والأخلاق بحيث يجعل نيتشه من قيم السادة هي القيم والأخلاق الحقيقية المرتبطة بالحياة، والتي يجب أن تحل محل أخلاق العبيد السائدة. والمبدأ الأساسي لهذه الأخلاق الجديدة هو " إرادة القوة " الذي لا يعني أكثر من سعي الإنسان إلى تنمية نفسه والعلو بها في الحياة، ولا يحمل أي مدلول سياسي أو إيديولوجي كما يذهب إلى ذلك جيل دولوز في كتابه نيتشه، وكذلك فؤاد زكرياء في كتابه " نيتشه "، يقول نيتشه " لهذا السبب، الفيلسوف يجب أن يكون قادراً على أن يسمح لنفسه بالنظر إلى الإرادة من زاوية الأخلاق. الأخلاق مدركة كعلم لتراتبية هرمية مهيمنة، من حيث تنشأ ظاهرة الحياة " ومادامت القيم الأخلاقية يصنعها الإنسان ومرتبطة بحياته، فهي قيم نسبية، تختلف باختلاف القوى الحاملة لها واختلاف لراداتها، واختلاف الظروف المكانية والزمانية، فأخلاق العبيد ليست كأخلاق السادة، والغاية الأساسية لهذه القيم هي خدمة منافع الإنسان وتكيفه مع الحياة.

د- فكرة العود الأبدي:

أكد نيتشه أن فكرة العود الأبدي فكرة أصيلة عنده، فرغم أن تلك الفكرة موجودة في الفلسفة اليونانية لا سيما عند فيثاغورس، و في الفكر الهندي إلا أن نيتشه يقر بأنه فكر فيها في فسحة باييطاليا، ومهما يكن الأمر، فإن تبسيط هذا المفهوم يستدعي إن نحلل حدوده الأساسية: فالعود من العودة وهي تحمل معاني الرجوع والتكرار، بينما كلمة أبدي من الأبد، وهو مفهوم متعلق بالزمن القادم اللامتناهي، ومادام شيء سيرجع معناه أنه قد كان في الماضي، وبالتالي، فإن فكرة العود الأبدي تعني أن حوادث العالم الماضية ستعاود الرجوع في المستقبل وتحدث فيه، بصفة دائمة أو أبدية. إن حوادث العالم هنا ليست فقط الظواهر الطبيعية، بل كل الحوادث بما فيها الأشخاص والنظم الفكرية والأخلاقية والاجتماعية... وهكذا فإن أخلاق السادة قد ظهرت عند اليونان القديمة، وعادت الظهور في الحضارة الرومانية، ومع نابليون... وهذا يعني أن فكرة العود الأبدي عند نيتشه ليست مرتبطة بالمكان، بل بالضرورة الزمنية، فهو يقول " إن عودة كل شيء هي أكبر تقريب ممكن لعالم الصيرورة من عالم الوجود. "

إن قيمة فكرة العود الأبدي عند نيتشه هي تأكيد خلود الحياة من خلال تأكيد خلود العالم وحوادثه المختلفة، وهذا يخدم فلسفته التي توجهنا إلى حب الحياة وخدمة قواها الحية، وتعويل الإنسان على إرادته ومسؤوليته على أفعاله. فمن يؤمن بالعود الأبدي، بحسب نيتشه، يجب أن يسير وفق القاعدة الأخلاقية الكانطية: " افعل بحيث تصلح قاعدة سلوكك لتكون قانوناً عاماً يسري على الجميع " فالإنسان مطالب بالحدز في إتيانه لأي فعل، لأنه سيعاود القيام به لاحقاً. فليحذر أخطاءه وليتحمل مسؤوليته.

هـ- أثر فلسفة نيتشه في الفلسفة المعاصرة: أثرت فلسفة نيتشه على كثير من الفلاسفة المعاصرين مثل هيدغر مثلاً الذي استخدم منهج التفويض النيتشوي في نقد الميتافيزيقا الغربية ومفهومها للوجود المطلق، كما استخدم جاك دريدا نفس التفكيك النيتشوي للفلسفة والثقافة الغربية في نقد الثنائيات الميتافيزيقية الغربية ( الروح-المادة، الإنسان- الطبيعة، الرجل- المرأة....) وفي تقديم قراءة تعددية للنصوص والثقافات، وأدرج بول ريكور نيتشه ضمن ما يسميه بهرمينوطيقا الشك، حيث يشهد نيتشه على نقده للوعي العقلاني المعتد بنفسه وتشكيكه في قدرة العقل على الوصول للحقيقة، " فلا توجد حقائق دائمة ولكن توجد تأويلات متعددة"، وهذا ما أخذ به ريكور، حيث كتب حول صراع التأويلات ودوره في الإمساك بدلالة النصوص، وبالجمله فقد أسس نيتشه لإمكانية الاستفادة من مناهج أخرى خارج الفلسفة، حيث أخذ بالمنهج الجينيولوجي في تحليله وفهمه للقضايا الفلسفية، واتبعه في ذلك عدة فلاسفة أمثال ميشال فوكو الذي أخذ بدوره بالمنهج الأركيولوجي وطبقه على الفلسفة، وقد تأثر فلاسفة ما بعد الحداثة أمثال ليوتار ولفيناس بنزعه النقدية والتعددية والنسبية، بحيث هجرت الفلسفة معهم الأنظمة النسقية والكلية.